

أصل عائلة كشكول في الجزائر: من السلالة الهاشمية إلى القصة

المقدمة: عن ضرورة التوثيق النسبي للعائلات الوافدة إلى الجزائر

في علم الأنساب العربي، تحتل مسألة توثيق أصول العائلات مكانة محورية، خصوصًا تلك التي ارتحلت من مواطنها الأصلية في المشرق الإسلامي إلى بلاد المغرب العربي، ومن بينها الجزائر. ومن هذه العائلات عائلة "كشكول"، التي عرف فرع منها في الجزائر العاصمة، وتحديدًا في القصبة، بلقب "كشكول الصابونجي"، ويشير إليهم داخليًا باسم "الكشاكلة". ويعود هذا اللقب المركب إلى إرث تاريخي وجغرافي ونسبي طويل يمتد إلى بلاد الشام وفلسطين، ويصل إلى الدولة العثمانية، وينتهي بالاستقرار في الجزائر. هذا المقال يحاول استقصاء الجذور العميقة لهذه العائلة، وتتبع مسارات هجرتها وتاريخها النسبي المميز.

أولاً: ظهور عائلة كشكول في الجزائر العاصمة

ترد في الوثائق العائلية والشهادات الرسمية المعتمدة، خاصة ما بين أواخر العهد العثماني وبدايات الاستعمار الفرنسي، أسماء تحمل لقب "كشكول الصابونجي"، وأبرزها:

- **مصطفى بن خليل كشكول الصابونجي**، المعروف كجد أعلى للعائلة في الجزائر.
- **محمد بن خليل بن مصطفى كشكول الصابونجي**، أحد أبنائه.

يؤكد أفراد العائلة أن هجرتهم إلى الجزائر كانت مباشرة من تركيا، وليس من الشام أو مصر، وهي نقطة مهمة تثبت الصلة المباشرة مع الدولة العثمانية في طورها النهائي. وقد استقر هذا الفرع في حي القصبة العتيق، المعروف تاريخيًا كمركز إداري وثقافي وعسكري في العهد العثماني.

لكن ما الذي يعنيه لقب "كشكول الصابونجي"؟ وما علاقته بتركيا، وبلاد الشام، وبالأصول العربية؟

ثانيًا: دلالة لقب كشكول الصابونجي

"كشكول" كلقب

اللقب "كشكول" ليس تركي الأصل، بل تعود جذوره إلى العالم العربي، وخصوصًا إلى فلسطين التاريخية، حيث ظهر رجل يُعرف بمحمد كشكول، وكان أميرًا محليًا في فلسطين في عهد الدولة السلجوقية. ويُعرف في بعض المصادر باسم محمد الكشكلي. وقد ثبت بالوثائق النسبية أنه من أشرف فلسطين، أي من السلالة العلوية الحسينية، عبر الإمام موسى الكاظم.

من هذا الرجل انحدرت عائلات عُرفت باسم "الكشاكلة"، وقد انتشروا في فلسطين، ثم توزعت فروعهم في الشام، ومصر، والعراق، والحجاز، وتركيا.

"الصابونجي" كمهنة وأصل عثماني

أما اللقب الثاني "الصابونجي"، فهو مشتق من الكلمة التركية "صابونجي (Sabuncu)"، وتعني "صانع أو بائع الصابون"، لكنها لم تكن حصرًا على المهن الحرفية، بل قد تدل على وظيفة إدارية أو صناعية داخل المؤسسات العثمانية، مثل الجيش أو القصر أو الأسواق.

وقد أظهر البحث أن لقب "الصابونجي" انتشر في إسطنبول ومدن تركية أخرى، لكنه لا يعني بالضرورة الأصل التركي. بل بالعكس، فإن عائلات "الصابونجي" كانت تضم عناصر عربية وشامية وكردية وإيرانية تم إدماجها في الجهاز العثماني.

لذلك، فإن وجود لقب مركب "كشكول الصابونجي" يدل على أن فرعًا من عائلة "كشكول" الفلسطينية الأصل قد استقر في تركيا، واندمج في إدارتها العثمانية، ثم انتقل إلى الجزائر.

ثالثًا: الكشاكلة – من فلسطين إلى الدولة العثمانية

كلمة "كشاكلة" ليست اصطلاحًا عامًا، بل هي اسم نسبي يطلق على ذرية محمد كشكول، أمير فلسطين. وهي كلمة تحمل طابعًا قبليًا أو عائليًا مميزًا. وتذكر بعض المصادر الشفوية والوثائق النسبية المحفوظة في فلسطين أن الكشاكلة هم فرع من الأشراف البدرين، أي المنحدرين من الحسن بن علي بن أبي طالب.

وقد ثبت في بعض سجلات الأشراف في القدس والخليل ونابلس وطبريا وجود هذا اللقب، وأنه كان معتمدًا رسميًا في بعض المحاكم الشرعية.

رابعًا: رحلة الكشاكلة إلى تركيا

بعد تراجع النفوذ السلجوقي واندماج المناطق الشامية والفلسطينية في الدولة العثمانية، انتقل عدد من العائلات الشريفة إلى العاصمة العثمانية، إسطنبول، ومناطق أخرى مثل بورصة وأنقرة. وكانت عائلة "كشكول" من بين هذه العائلات. وقد استقر فرع منهم في تركيا، حيث خدم بعضهم في الوظائف الإدارية أو الصناعية، واكتسب لقب "الصابونجي".

وهكذا، ظهر فرع "كشكول الصابونجي"، الذي يُرجح أن يكون منه مصطفى بن خليل كشكول الصابونجي، الذي انتقل لاحقًا إلى الجزائر.

خامسًا: وصول الكشاكلة إلى الجزائر – السياق السياسي والاجتماعي

كان من المألوف أن توفد الدولة العثمانية بعض العائلات الموالية أو ذات الكفاءة الإدارية إلى أطراف الدولة، ومنها الجزائر. وفي ظل هذا الإطار، من المرجح أن يكون مصطفى كشكول الصابونجي قد انتقل إلى الجزائر في إحدى الموجات الإدارية أو التجارية أو الاستيطانية خلال القرن الثامن عشر أو التاسع عشر.

وقد استقر بصفة نهائية في القصبة، التي كانت مقرًا للحكم العثماني، وعاش أبناؤه وأحفاده بعده هناك، حامين لقبهم الفريد، ومحتفظين بتقاليدهم اللسانية والاسمية العثمانية والعربية.

سادساً: الدلالة النسبية للقب "الكشاكلة" في الجزائر

أفراد العائلة في الجزائر ما زالوا يُعرفون حتى اليوم بلقب "الكشاكلة"، وهو ما يعزز الصلة النسبية بالعائلة الكبرى التي تنتمي إلى ذرية محمد كشكول. ولا يوجد في الجزائر إلا عدد محدود جداً من العائلات التي تحمل هذا اللقب أو الاسم النسبي، ما يؤكد انفرادهم بهذا الانتساب.

كما أن وجود أسماء مثل:

- بدرية (اسم نسائي له دلالة عند الأشراف البدريين)
 - إلياس، ورضوان، وسيد علي (أسماء ذكورية منتشرة بين الأشراف في بلاد الشام والعراق)
- يؤكد الاستمرارية الثقافية للعائلة، وعدم انقطاعها عن جذورها المشرقية.

سابعاً: انتشار الكشاكلة عالمياً

بعد الخروج من فلسطين، توزعت فروع الكشاكلة على النحو الآتي:

- فلسطين والأردن: ما زال لهم وجود واضح، خاصة في مدن نابلس والخليل والزرقاء.
- العراق: يوجد فرع من الكشاكلة في النجف وكربلاء.
- الحجاز: بعضهم استقر لاحقاً في المدينة المنورة.
- تركيا: حيث تمركز فرع "كشكول الصابونجي".
- الجزائر: حيث ظهر الفرع الذي استقر في القصبة.

ثامناً: توثيق النسب الشريف لعائلة كشكول في الجزائر

استناداً إلى النتائج المذكورة أعلاه، نثبت ما يلي:

1. أن عائلة كشكول الصابونجي في الجزائر هي فرع من الكشاكلة البدريين.
2. أن الكشاكلة ينحدرون من محمد كشكول أمير فلسطين في عهد السلاجقة.
3. أن محمد كشكول هو من نسل الإمام موسى الكاظم، ابن جعفر الصادق.
4. أن هذا النسب ينتهي بالإمام علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء، ابنة رسول الله ﷺ.

الخاتمة: الإرث الشريف لعائلة كشكول في الجزائر

تُعد عائلة كشكول في الجزائر، والمعروفة بلقب "الصابونجي"، نموذجًا للعائلات الهاشمية التي عبرت من المشرق إلى المغرب، حاملة معها شرف النسب والوظيفة والخدمة. واستقرارها في القصبة ليس حادثًا عابرًا، بل هو امتداد طبيعي لمسيرة النخبة العلمية والإدارية ذات الأصول النبيلة، التي ساهمت في بناء الدولة الإسلامية من فلسطين إلى إسطنبول إلى الجزائر.

ويُعد الحفاظ على هذا النسب وتوثيقه واجبًا دينيًا وتاريخيًا، لأنه يربط الجزائر بجذور النسب النبوي الشريف، ويُظهر البُعد العالمي لهجرة آل البيت وتفرعهم في البلاد الإسلامية.